ثقافة الالتزام بالقانون

المكان: طهران

الحضور: رئيس ونواب مجلس الشورى الإسلامي

الزمان: ١٣٨٨/٤/٣ش. ١٤٣٠/٧/١ق. ٢٠٠٩/٠٦/٢٤م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهلاً ومرحباً بكم كثيراً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء. نتمنى أن تكون هذه الدورة الجديدة من المجلس مباركة ومصدر خير للبلاد ولكل واحد منكم ضمن الطموحات التي يحملها كل إنسان مؤمن في ضوء حضوره ووقوفه أمام الله.

هذه الأيام أيام شهر رجب المبارك. أول شيء ينبغي أن نلاحظه جميعاً ـ أينما كنا ـ في هذه الأيام، ثم في أيام شعبان المبارك، ثم على درجة ثالثة أرفع في شهر رمضان المبارك، هو إصلاح أنفسنا وإبعاد الغفلة والظلمات عن قلوبنا. هذا هو الأصل والأساس. كل هذه الأحداث والتجاذبات المتواصلة في حياة الإنسانية، وفي بعثة الأنبياء، وفي الكفاح الاجتماعي والسياسي والعسكري الذي خاضه الأنبياء الإلهيون ضد أعداء الله ـ المحن والآلام والأفراح والانتصارات والهزائم، كلها وكلها ـ مقدمة يراد منها أن يستطيع الإنسان عند

اجتياز هذه الحدود التي هو مضطر لاجتيازها ـ أي الحدود بين الحياة المادية والحياة الأخروية الدائمية ـ أن يكون مسروراً راضياً غير متحسّر. الكلام كله حول هذا الشيء. إذا قيل لكم لتكن أخلاقكم أخلاقاً حسنة، وإذا قيل لكم اعملوا بهذه الضوابط والمقررات، وإذا قيل لكم جاهدوا وكافحوا، وإذا قيل لكم أعبدوا، فكل ذلك إنما هو لكي تتحول هذه المادة الخام المودعة لدينا إلى شيء جيد ونتاج أمثل نخرج بها من هذه البوابة.. من أجل أن نملأ هذه الصفحة البيضاء التي منحونا إياها لننقّشها بأعمالنا، من أجل أن نملأها بنقوش جميلة إيجابية ونرفعها فوق رؤوسنا ونمضي. كل شيء هناك.. المصير هناك.. وهذه مقدمات. هذا المعسكر الذي نمارس فيه اليوم تمارينا، إنما هو من أجل أن نستخدم تمارينا هذه في مكان ما. لذا ينبغي أن تنصّب مساعينا في هذا المعسكر على الانتفاع من الفرص إلى أقصى حد ممكن، ولا ندع غنيمة تفوتنا أو رصيداً يحترق ويتلاشى ولا يعود علينا عائد مقابله.

قال الله تعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾.. هذا هو معنى الخسر.. معناه احتراق رأس المال وذهابه وضياعه. نحن جميعاً وفي كل لحظة إنما نخسر رساميلنا. ما هو رأس المال؟ إنه العمر. في كل لحظة نخسر أنا وأنتم هذا الرصيد. لقد خسرنا اليوم قياساً إلى الأمس جزءاً آخر من رأس مالنا. كل لحظات هذا العمر الذي يستمر عدة عقود مثلاً إنما هو فترة احتراق لهذه الشمعة.. فترة اضمحلال رأس المال هذا. حسناً، ما الذي نكسبه مقابل ذلك.. هذا هو المهم. ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾. إذا كان ثمة إيمان وعمل صالح ـ والجزء الأهم من العمل الصالح

هو التواصي بالحق والتواصي بالصبر ـ عندئذ سيكون ذلك الرصيد قد ذهب ولكن حلَّ محله شيء أفضل منه. كما لو تأخذون أموالكم إلى السوق وحينما تخرجون من السوق تكونوا قد فقدتم أموالكم وعادت جيوبكم فارغة، بيد أن المهم هو ما الذي أخذتموه معكم بدلاً عنها، وأن لا تعودوا من السوق صفر اليدين. شهر رجب فرصة جيدة.. إنه شهر الدعاء والتوسل والتوجّه والاستغفار. يجب أن نستغفر دائماً، ولا يظنّ أحد أنه في غنى عن الاستغفار. يقول رسول الله (ص): «إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة». مما لا شك فيه أنه حتى الرسول الأكرم (ص) كان يستغفر الله سبعين مرةً في اليوم. الاستغفار للجميع، خصوصاً نحن الغارقين والملوثين في هذه الأعمال المادية والدنيا المادية. الاستغفار يغسل جزءاً من هذه الأدران ويمحوها. إنه شهر الاستغفار، وسوف نغتنم الفرصة إن شاء الله. نبارك لكم حلول هذا الشهر، وسيكون شهراً مباركاً علينا وعليكم إن شاء الله، وحينما ننتقل من هذا الشهر إلى شهر شعبان نكون قد أنجزنا جزءاً من المهمة بتوفيق من الله.

ومن الضروري أن نشكر النواب المحترمين لإبدائهم مودتهم وإعلانهم دعمهم بعد كلامنا المتواضع في صلاة الجمعة. التوحد والتلاحم في الإعلان عن المواقف الأساسية في البلاد حالة إيجابية جيدة. خصوصاً حينما يرى الإنسان الأعداء أمامه قد أرهفوا أسماعهم وفتحوا أنظارهم ليروا هل هناك ضعف أو انتكاس أو تردد في الطرف المقابل، حتى ينتهزوا الفرصة بلا تأخير ويشنوا هجومهم. في مثل هذه الظروف على وجه الخصوص من المهم جداً ومن الضروري جداً توحيد الأصوات.

أذكر نقاطاً عدة للسادة المحترمين حول مجلس الشورى، وهي نقاط يفترض أنكم تعرفونها، فهي إذن تذكرة. أحياناً يكون للاستماع أثر لا يوجد في مجرد العلم والمعرفة. يعرف الإنسان أشياء لكن من الحسن أن يسمعها مرةً أخرى. وهذا الاجتماع والحمد لله اجتماع جيد ورفيع المستوى من حيث الخبرة والمعرفة والأفكار والعلوم، ونحن مسرورون لهذا ونتباهى به.

من النقاط التي وددت الإلفات إليها هي أن مجلس الشورى يعد القوة المفكرة في البلاد. الأفكار تتجلى في لبوس القانون، ثم تسري وتجري في كل كيان البلد. الشيء الذي ينبغي أخذه بنظر الاعتبار دوماً هو أولاً أن نرى ما هي طبيعة الصلة بين أفكار هذه القوة المفكرة والقيم الأساسية للثورة ـ فهذا الغصن متفرع على كل حال من جذع الثورة العظيم والفارع والقوي ـ ثانياً ما هي طبيعة الصلة بينه وبين المجتمع ومشكلات البلاد واحتياجات الناس. نظرة إلى المبدأ والمنطلق، ونظرة ثانية إلى النتيجة والنهاية. نظرة إلى المنبت ونظرة إلى الهدف. هذه نقطة يجب أن تكون واضحة. إذا كانت هذه كانت القوانين أصيلة وصحيحة وناهضة وكفوءة. وإذا لم تكن الأولى كان الغصن منقطعاً عن الشجرة وفاقداً لأصالته، لن تكون القوانين أصيلة. إذا لم تكن الثانية كان القانون أصيلاً ومشروعاً لكنه غير مقبول. إذا لم يكن القانون منسجماً مع احتياجات المجتمع ومقتضياته الفورية والآنية وكذلك احتياجاته طويلة الأمد، عندئذ لن يكون مقبولاً بمقدار ما يتصف بالنقص في ذلك الجانب. هذه نقطة يجب أخذها بنظر الاعتبار.

قلتم مثلاً يجب الاهتمام بالسياسات المرتبطة بالمادة ٤٤ من الدستور. لاحظوا أن هذا بحد ذاته مؤشر. إذا كنا نوافق سياسة المادة ٤٤، فلن نمرِّر قانوناً لا يتناغم مع هذه السياسات. كما أن تمرير قانون غير منسجم مع سياسيات المادة ٤٤ مرفوضٌ عندكم كذلك الحال بالنسبة لأساس قيم الثورة الإسلامية ومباني الثورة وأركانها. ينبغي مراجعة مباني الثورة وعدم نسيانها. ليس من الصحيح أن يقال إننا يجب أن نشك في آراء الإمام، وقد لا يستخدمون عبارة نشك لكنهم يطلقون كلاماً معناه الشك. وصية الإمام خلاصة لكلماته (رضوان الله تعالى عليه) ولمباني الثورة وأصولها. كان الإمام رجلاً كبيراً وواعياً. خذوا هذه الأمور بنظر الاعتبار دوماً، ولتكن القوانين والمواقف والمسيرة على هذا الأساس. قد يفهم الإنسان المسألة بشكل ويفهمها شخص آخر بشكل مختلف ـ لا إشكال في ذلك ـ ولكن ينبغي أن يكون هذا هو الهدف والمحور.

نقطة أخرى هي أن للقانون جانب ملِزم وسيادي وولائي.إنكم من خلال القانون تعمِلون ولايتكم واقتداركم على المجتمع، لذا فالقانون ملِزم. هذا شيء صحيح ومحفوظ في محله. أي إن الجانب الآخر في المجتمع وهم أبناء المجتمع ـ وأنتم من جملتهم ـ سيقف تحت مظلة اقتدار القانون وسيُعمِل القانون ولايته عليهم. هذا هو الجانب الواضح من القانون. وثمة جانب آخر هو التأثير الثقافي والتربوي للقانون في المجتمع. أي قانون تسنّونه حتى لو لم يكن له على الظاهر صلة بالقضايا التربوية والثقافية ـ كأن يكون قانوناً اقتصادياً على سبيل المثال ـ سيكون له أثر ثقافي وأخلاقي وتربوي مباشر أو غير مباشر على

المجتمع. السلوكيات والأخلاقيات والتربية لها آثار متقابلة ومتبادلة.. الأخلاق تترك تأثيراً في السلوك، والسلوك أيضاً يترك تأثيره على الأخلاق. لاحظوا أنه ﴿ثمّ كان عاقبة الذين أساءوا السوء﴾.. إذا فعلنا شيئاً سيئاً فسيترك أثره على قلبنا وعلى أخلاقنا، وأحياناً على تصوراتنا ورؤانا. إذا انشدت قلوبنا إلى شيء سيترك هذا الانشداد تأثيره على ذهنياتنا. الأعمال والسلوك من جهة والأخلاق والتربية من جهة ثانية.. هذه تترك تأثيرات متقابلة.

وكذا الحال بالنسبة للقانون. أي قانون تضعونه سواء كان متعلقاً بالنقل والمواصلات، أو بالجمارك، أو بالاقتصاد، أو بالسياسة الخارجية، أو أي شيء آخر، ستكون له آثار تربوية وأخلاقية. يجب أن يؤخذ هذا الجانب من القانون بنظر الاعتبار. إذا وضعنا قانوناً يعزز روح إطاعة القانون لدى الناس فهذا شيء جيد. وعلى العكس، إذا شرّعنا قانوناً يخلق لدى الناس روح مشاكسة القانون وعدم الاكتراث لهّ ولو بشكل غير مباشر ـ فهذا شيء مرجوح. إذا سننا قانوناً يقوّي روح القناعة لدى الناس فهذا شيء إيجابي. وعلى العكس إذا كان القانون الذي نشرّعه يقوي روح الإسراف لدى الناس فهو شيء سيئ وسلبي. إذا كان القانون يعزز روح التدين لدى المجتمع فهو جيد، وإذا كان مما يشدد روح اللاأبالية في المجتمع فهو سيئ. تنبهوا إلى هذا الجانب: التأثير المتبادل بين الحقوق والأخلاق، والتلازم بين القضايا الحقوقية والقضايا الأخلاقية. هذه أمور على جانب كبير من الأهمية.

هذا طبعاً الجانب النظري من القضية، أي إعمال الجانب النظري من

القضية. وإلى جوار ذلك هناك البعد أو الجانب العملي والخارجي للقضية والذي يجب على السادة أخذه بعين الاعتبار. أي إنكم إذ تريدون مراعاة الأخلاق الإسلامية في قوانينكم من المناسب أن تكون لكم جلساتكم الأخلاقية والمعرفية، فهي تخفف عن الإنسان وتفرغه من التعقيدات التي تتكالب عليه في غمرة العمل. في أتون هذه الأعمال والمهام التنفيذية يجب على الإنسان الترفع إلى السماء وإلى الله وإلى السمو، والتخفّف من الأثقال ومن ثم العودة إلى العمل. ذات مرة ضربت مثلاً من هذا الماء الذي ينزل طاهراً طيباً من السماء ثم يتلوث في هذه المسابح والبحار والبحيرات، ومن بعد أن يتلوث يتبخرّ مرة أخرى ويصعد إلى الأعلى ليتطهّر مرة أخرى ثم يعود. نحن أيضاً يجب أن نسمو ونتطهر ونعود طاهرين. أنا وأنتم بأشد الحاجة لهذا الشيء. حين كنّا في قم كان لدينا صديق كنتُ منشداً إليه في قلبي انشداداً قوياً من الناحية المعنوية. كنت انتفع كثيراً من الجلسات التي تجمعني به.. جلسات أخوية ثنائية أو ثلاثية أو جلسات طلبة الحوزة. كنت استفيد من معنوياته، وأخلاقه، وأحاديثه وسلوكه المعرفي. وافترقت عنه سنوات حيث توجّه إلى النجف وبقينا هنا مشغولين. بعد أن صرت رئيساً للجمهورية عاد هو إلى إيران. والتقيته بالصدفة، فقلت له: يا صديقي إن حاجتي لك اليوم أكبر من تلك الأيام. أنا الآن رئيس للجمهورية وكنت ذلك الحين طالب علم عادي. وتقرر أن يأتي إلينا مرة في الأسبوع أو مرة كل أسبوعين، وكان ذلك إلى أن فارق الدنيا.. رحمة الله عليه. نحن بحاجة لذلك. كلما كانت مسؤولياتنا أكبر كلما كانت حاجتنا أكبر. «الأغنى هم الأحوج» إلى هذه الجلسات الأخلاقية والمعنوية.

من الأمور الجيدة التي تأسست في المجلس منذ البداية تلاوة القرآن الكريم في بداية الاجتماعات الرسمية للمجلس. وفي الفترة الأخيرة أثناء رئاسة الدكتور السيد حداد عادل أضيفت لذلك سنة حسنة أخرى هي قراءة ترجمة القرآن ـ ولا أدري هل لا تزال سارية وجارية أم لا ـ وهي عملية جيدة جداً. ينبغي أن لا تكون للقرآن حالة شكلية فقط.. ينبغي أن نستمع ونستفيد من كلمات القرآن.. يجب أن نسلّم قلوبنا للقرآن. كل كلمة من كلمات القرآن يمكن أن تحدث ثورة في قلوبنا، طبعاً بالنسبة لمن يأنس بالقرآن ويتفاعل معه. حسب التجربة فإن من لا يأنس بالقرآن لا ينتفع الكثير من القرآن. »أيّكم زادته هذه إيماناً«. حينما كانت الآية تنزل كان المنافقون يقولون: ها، ما الذي حصل؟ هل ازداد إيمانكم؟ لم يكونوا يفهمون من القرآن شيئاً. إذا كان ثمة أنس بالقرآن وتسليم للفؤاد إلى القرآن، سيرى الإنسان عندئذ أن كل كلمة من القرآن قطرة طاهرة صافية ينتهلها وتفيض على قلبه بالنور. ينبغي التنبه لهذا القرآن ولهذه التلاوة. خصوصاً أنها مرفقة حالياً بالترجمة لمن يحتاج إلى هذه الترجمة. لتكن هناك جلسات أخلاقية ومعرفية، وليأتِ أشخاص ينصحوننا ويذكرون لنا حتى الأمور التي نعرفها. وكما قلت ففي الاستماع أحياناً أثر غير موجود في المعرفة. نعلم كثيراً من الأشياء لكننا لا نتذكرها، وحينما نتذكرها تصحو قلوبنا.

النقطة الأخرى هي أن المجلس محل للحوار، ومستوى الحوارات يفترض أن يكون عالياً، لأن المستوى الفكري والعلمي والمعرفي للأعزاء النواب عالٍ والحمد لله. تطرح وجهات نظر، وتطرح استشارات. ما أروم التأكيد عليه وذكره

لكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات هو أن ترفعوا روح تحمل الكلام المعارض في المجلس. استمعوا ثم ردوا بالأدلة والبراهين. وإذا لم يكن لديكم الوقت للرد أو الجواب فلا تمنحوا أصواتكم لذلك الرأي ولا تعملوا به. إذا كان ثمة صديق أو رفيق تريدون تنوير ذهنه فلا بأس.. اذكروا له بهدوء.. لا تدعوا الأقوال والآراء بتراء ناقصة. للأسف كانت هذه الحالة موجودة في مجالسنا منذ البداية بأن يأتي عدد من الأفراد وسط كلام أو حديث شخص آخر ويرفعوا أصواتهم ويضجوا ويتحدثوا. أتذكر في زمن رئاسة الجمهورية أنني ذهبت مرة للمجلس لأجل موضوع معين. كانت لدي كلمة ألقيها في المجلس، وقد طالت الكلمة وكانت مفصلة. أحد النواب وكان صديقنا، لكنه كان منحرفاً عنّا قليلاً ـ من حيث الفكر السياسي كان منحرفاً عنّا قليلاً وتعلمون أن الصدامات كانت يومئذ شديدة وحادة إلى حد ما ـ بدأ من آخر المجلس بالكلام بصوت عال، وعلى حد تعبير السادة أخذ بإطلاق أمواج التشويش. وكنت أقول له: يا أخي العزيز، أقول أنا كلامي وأنت لا تقبله.. لا إشكال في ذلك. وكان يسكت، لكنه يعود بعد لحظات ويرفع صوته. رأيته بعد ذلك وقلت له: لماذا تفعل هكذا؟ استمع للكلام ثم تعال وقف أنت هناك ـ المجلس مجلسكم ـ وقل ما تريد قوله. أنا حين جئت وتحدثت فلأنني رئيس الجمهورية وسوف أخرج ويبقى المجلس لكم ويمكنكم أن تقولوا فيه ما تشاءون. قال: لا، المسألة هي أنك حينما تتكلم يؤثر كلامك في قلوب البعض، وأريد أن أحول دون هذا التأثير! طيب، هذا أسلوب، لكنني اعتقد أنه ليس أسلوب مجلس الشورى الإسلامي مجمع نخبة المجتمع الإسلامي.

لقد تعودنا في بحوثنا ونقاشاتنا الطلابية أن يتداخل الكلام بين طلبة العلوم الدينية. أي حينما يبدأ شخص بالاستدلال قد يقول آخرون وسط كلامه: كلا، ليس الأمر كذلك. ويقول هو: كلا، ليس الأمر كما تقولون. وغالباً ما لا تنتهي النقاشات إلى نتيجة. هل سمعتم عن سجالات طلابية يجري فيها التراشق بالكتب؟ هذا هو السبب. شاعت هذه العادة تدريجياً في الحوزة منذ سنوات أن يستمع الإنسان لكلام يعتقد أنه خاطىء وضعيف لكنه يصغي إليه كاملاً، ثم يقول: لا بأس، استمع أنت الآن، كلامك هذا جوابه كذا وكذا والإشكال عليه كذا. بعض أصدقائنا وجدت أنهم احتفظوا بتلك الحالة إلى الآن. يلقون كلامهم ويستمع الإنسان لهم إلى أن ينتهي الكلام، ثم حينما يبدأ هو بالكلام يعودون للكلام والردّ مرة أخرى! هذا غير مناسب لمجلس مثل مجلس الشورى الإسلامي.

إذن، يجب التنبه إلى رفع مستوى التحمل في المجلس، وأيضاً إلى أن لا تكون الآراء والتصريحات بدافع اللجاجة. ذكر هذه المسألة سهل طبعاً لكن العمل بها صعب. أنا أعتقد حقاً أن العمل بها صعب. أحياناً يتكلم الإنسان بسبب اللجاجة والخصام ومعارضة فلان أو فلان أو التيار أو الجماعة الفلانية.. هذا غير صحيح. أي إن الكلام يجب أن لا يكون بدافع اللجاجة والصراع بين الأشخاص والتيارات. استمعوا لكلام الطرف المقابل حتى لو كان من يتكلم عن غير تياركم وجماعتكم وجبهتكم.. استمعوا وإذا وجدتم أنه كلام صحيح، عندئذ »فيتّبعون أحسنه«. لاحظوا الحكمة القرآنية: ينبغي الاستماع ثم الأخذ بما هو أفضل وأحسن، حتى لو كان هذا الأحسن صادراً عن لسان شخص لا

تحبّونه ولا تنحازون له. هذه حالة جيدة جداً. إذا حصل هذا فهو جيد جداً . خلافاً لما لو رأى الإنسان أن الشخص الذي قام للكلام من تيار معارض ومن جماعة سلبية حسب اعتقادي، فيقرر منذ البداية أن يردّ عليه ويرفضه. هذه في رأيي مسألة مهمة جداً. يجب العمل بطريقة علمية واستدلالية ومدروسة، والحوار والتشاور بنحو أخلاقي سليم لا عن لجاجة، ويجب تحمل الرأي المعارض المخالف.

النقطة الأخرى هي أنكم خلال هذه الأعوام الثلاثة التي أمامكم من المفترض أن تديروا البلاد بمعية الحكومة الجديدة. أنتم في جهة والحكومة في جهة.. أنتم مشرِّعون والحكومة منفذة.. يجب أن تعملوا سوية. اجعلوا أساس عملكم المماشاة والمداراة وروح التعاون. طبعاً لدينا نقاط وتنبيهات للحكومة أيضاً في هذا المجال وحول قضية التعاون، وسوف نذكرها لأعضاء الحكومة المحترمين في جلسات أخرى، لكن ما نريد أن نقوله لكم هو أن تجعلوا الأساس في التعامل مع الحكومة هو التعاون. الحكومة هي الشخص المتواجد في الساحة. أنا أيضاً كنت في المجلس، كنت نائباً مثلكم، وكنت في الحكومة. إنني على معرفة بكلا الحالتين. نعم، النائب يبذل جهده ويشرع القوانين، ويتوقع أن يجري العمل بهذه القوانين.. هذا كلام صحيح وحق. بيد أن الحكومة بدورها لديها كلام حق فهي تقول إنني أسير في هذا الطريق الوعر الصعب والمرتفعات الخانقة للأنفاس، وعلى كاهلي كل هذه الأعباء، وقد تستعصي عليَّ الأمور في موضع من المواضع، لذا أتوقع أن تساعدوني ولا تتصعّبوا معي. الحكومة هي العنصر المتواجد في وسط الساحة وفي غمرة الأمور. في مواكب

اللطم تحمل أعلام ـ يظهر أنهم يسمونها هنا أعلاماً أو علامات، وكنّا نسمّيها في مشهد جريدة.. أي هذه العلامات الكبرى ـ قد تحتوي أحياناً عشرة تفريعات أو إثني عشر تفريعاً وهي ثقيلة جداً. أصحاب العضلات القوية في مشهد كانوا مكلفين بحمل هذه الجرائد، وكانت عملية صعبة جداً. أتذكر أنهم كانوا يأتون بهذه الجرائد إلى السوق. كان ثمة في السوق مكان واسع نسبياً، وكان يجب هناك أن يدوروا بالأعلام أو الجرائد ويستعرضونها وما إلى ذلك. الشخص الذي يحمل الجريدة يضيّفه عشرة أشخاص أو اثنا عشر شخصاً.. واحد يمسح عرقه وواحد يضع الماء في فمه، وواحد يقول له: ساعدك الله، وواحد قد يدلّك كتفيه أحياناً.

العمل التنفيذي صعب. أتذكر أن البعض كانوا يأتون إلى الإمام ويقولون له: يوجد إشكال في المرفق الفلاني، التجارة مثلاً تعاني من كذا أو كذا. كل مرفق من مرافق البلاد فيه بالتالي إشكالات كثيرة وهي إشكالات موجودة دوماً، وكانت موجودة يومذاك أيضاً، وكانت كثيرة. كانوا يذهبون ويشتكون لدى الإمام. كنت أرى أو أسمع أحياناً أن الإمام يستمع لكلامهم، ثم يقول: العمل صعب. وهذا هو الواقع. للعمل في إطار البرمجة وعلى الورق والخطوط البيانية معنىً، لكن له في ساحة العمل معنى آخر. الشيء الذي يرسمه الإنسان على الورق سهل جداً، لكنه على المستوى العملي صعب جداً.

كانوا يأتون بخرائط الحرب إلى غرفتي ويجتمع الأصدقاء المعنيون بشؤون الحرب. قادة الحرب كانوا يدلون بإيضاحاتهم ويقولون هذه هي خطة

العمليات، نسير من هنا. كنت أرى أن بعض الأصدقاء ينظرون ويقولون: عجيب، إنها عملية سهلة جداً. هذا خط قصير جداً بطول نصف عود ثقاب مثلاً يجب أن نسيره. لكن هذا النصف عود ثقاب الذي يعني مثلاً عشرة كيلومترات من المقرر أن يشتبك فيه عشرات الآلاف ويقتل ويجرح فيه عدد كبير. على الخارطة هو نصف عود ثقاب من الطريق ويبدو أنه ليس بالأمر الشاق، لكنه صعب عند التنفيذ العملي. القصد أن العمل صعب، ويجب مراعاة الحكومة ومداراتها.

ينبغي أن لا تسمحوا للأمور بأن تصل إلى درجة المماحكات. والناس عادة تمتعض حقاً من المماحكات. بعض دورات المجلس كانت دورات مليئة بالمماحكات. آثار هذه التوترات على المجالس آثار سلبية جداً. الناس لا يرتاحون لذلك إطلاقاً.

كلما فتح الناس الإذاعة الخاصة بالمجلس وجدوا فيها معركة، وكلاماً لاذعاً. الناس لا تحب مثل هذه الأحوال. يريد الناس أن نكون نحن الجالسين هنا في مواقع إدارة البلد متعاطفين مع بعضنا، ونعمل مع بعضنا ونتعامل بصميمية، لا أن نغض الطرف عن أخطاء وذنوب بعضنا.. أبداً، هذا ليس شيئاً محبذاً على الإطلاق، بل هو قيمة سلبية، ولكن ينبغي أن يكون نوع التعامل صميمياً وعطوفاً وإيمانياً وأخوياً.

وقضية أخرى ـ وحديثنا أخذ يطول ـ هي قضية ثقافة الالتزام بالقانون في البلاد. نحن بحاجة حقاً إلى أن يكون القانون مؤشراً ومحوراً وفصل الخطاب

في كل شؤون البلد. لو التزمنا بالقانون حقاً فسوف يساعد هذا الأمر مساعدة حقيقية على مرونة حياة الناس. أنه بالضبط كالمصابيح الخضراء والحمراء عند تقاطع الشوارع. لاحظوا كم تخلق من المشاكل عدم مراعاة هذه المسألة. مثلاً تصلون بسيارتكم إلى تقاطع طرق، لنفترض أن الضوء الأخضر كان مضاءاً لمدة دقيقة أو دقيقتين والسيارات تعبر وتمر، وبمجرد أن وصلتم أنتم اشتعل الضوء الأحمر. القضية صعبة طبعاً، وعليكم التوقف هناك لمدة معينة. دخولكم في تلك المنطقة الممنوعة بدافع من طلبكم الراحة، سيؤدي إلى الإخلال في وضع عشرات الأشخاص والسيارات على طرفي الطريق. وحتى شرطي المرور الواقف هناك لتنظيم الأمور سيواجه مشكلة. طيب، راعوا القوانين حتى لا تحدث كل هذه المشاكل. لاحظوا، هذا مثال واضح نواجهه يومياً ولذلك غالباً ما يراعيه الناس ويلتزمون به. والقوانين في كل مكان على هذه الشاكلة. إذا جرت مراعاة القوانين كانت الأمور مرنة وسهلة. وإذا حلّ عدم الالتزام بالقوانين بيننا ـ وكل شخص له على كل حال تبريره لعدم التزامه بالقانون، أحدهم يقول هذا القانون يضيّع حقّي، وهذا القانون كذا وذاك كذا، لكن هذه التبريرات غير مقبولة ـ أختلت الأمور والأعمال.

إذا شاع عدم الالتزام بالقانون تعقدت الأمور، وتفاقم زحام السيارات وأختل المرور، وحصلت عقد مرورية، وتبددت مصالح الناس وسحقت. على الجميع احترام القانون. وأقول لكم إن هذه الحالة كغيرها من الحالات التي ينبغي أن تنتشر ثقافتها من النخبة لتصل إلى عموم المجتمع. إذا لم تلتزموا أنتم النخبة بالقانون فلا تتوقعوا من عموم المجتمع الالتزام بالقانون. ندعي أننا نخبة

ـ سياسية أو نخبة علمية ـ لكننا لا نكترث للقانون في أمورنا وشؤوننا!

وفي خصوص هذه القضايا الجارية فقد كنت مصراً ولا أزال وسأبقى مصراً في المستقبل أيضاً على تطبيق القانون. أي إننا لن نتجاوز القانون حتى خطوة واحدة. قانون بلادنا قانون الجمهورية الإسلامية. لا شك أن النظام والشعب لن يخضعوا للعسف ولمنطق القوة مهما كان الثمن. الجهة المقابلة للالتزام بالقانون والانقياد له هي الدكتاتورية. ليعلم الأصدقاء ـ إن لم يكونوا يعلموا ـ وهم يعلمون أنه يوجد في قعر أرواحنا جميعاً ميلٌ إلى الدكتاتورية، وعلينا قمع هذا الميل. وكما قلنا يجب علينا ترويض هذا المتحجّر القابع في داخلنا دوماً بمطرقة القانون والدين والتعبد. إذا لم نعالج أنفسنا كان العلاج صعباً. إذا لم يكن هناك انقياد للقانون ستبرز الدكتاتورية رويداً رويداً. والدكتاتورية تظهر بهذه الصورة في المجتمعات.

والنقطة الأخيرة ـ وقد ذكرت هذه الفكرة مراراً ـ هي أن تكون نظرة النواب المحترمين في ممارستهم للعملية التشريعية وسنّ القوانين ـ مركوزةً على البلاد برمتها. طبعاً يجب بالتأكيد ملاحظة مصالح منطقتهم ـ لا شك في ذلك ـ بيد أن تلك المصالح يجب أن تكون ضمن منظومة النظر لعموم البلاد، وإلا إذا تقرر أن يعمل نائب الشرق للشرق حتى لوكان ذلك على حساب الغربى وضد الغرب، ويعمل نائب الغرب للغرب حتى لو كان عمله على الضد من مصلحة الشرق، فلن تكون هذه حالة مقبولة. أن يكون الشخص نائباً للشرق أو للشمال أو للجنوب معناه أن يُشرك الشخص حاجة منطقته التي يعرفها عند

سنّه للقوانين، لا أن يشرّع القانون لأجل تلك المنطقة فقط.. القانون للجميع. هذه هي النظرة العامة للبلاد عند عملية تشريع القوانين.

وهناك أيضاً قضية الإسراف والتبذير. الإسراف في التكاليف، والإسراف في الأسفار.. هذه أيضاً أمور يكتبها أو يرويها لي أحياناً بعض النواب المحترمين. عليكم أنفسكم أن تتفطنوا إلى هذه النقطة ولا تسمحوا لمجلس الشورى الإسلامي بالخروج عن حالة الورع والزهد. ينبغي الاهتمام لهذه الحالة بجد.

نتمنى أن يوفقنا الله تعالى وإياكم إلى ما فيه رضاه، فلا تكون فترة المسؤولية هذه سبباً في ازدياد أوزارنا وأعبائنا، بل تكون إن شاء الله سبباً لسعادتنا وتقربنا إلى الله تعالى، وتكون مقبولة عند الإمام المهدي المنتظر (أروحنا فداه). سنكون مشمولين بأدعيته عجّل الله تعالى فرجه، وتكون أرواح إمامنا الجليل والشهداء الطاهرة راضية عنّا إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته